تمهيد

إنّ التطور الحضاري للإنسان لا يقاس بتطور العلم وحده وإنما لابد من أسس يرسو عليها وتكون بمثابة العصب الذي يُبقي على استمرارية تحضره، هذا العصب يتمثل في علم الأخلاق، فقد أثبت التطور المعرفي والتكنولوجي أنّ الأداة الفعالة في تسيير شؤون العالم هو الكائن البشري وأنّه مهما تطور هذا العالم ما يلبث أن يتراجع إن تراجع مردود الفرد بالتالي هو مرهون بتطور الفرد لا العكس، لكن مع الأسف الشديد فالإنسان رغم تطور مستواه الفكري والمعرفي إلا أنّ مستواه الأخلاقي انخفض بشكل لافت، ما أدى إلى انخفاض المستوى العام للخلق المهني وهو محور محاضراتنا.

المحاضرة 1: مدخل عام لأخلاقيات المهنة

1. **ضبط المفاهيم**: لفهم أي علم أو محور أو موضوع ما لابد من بسط مفاهيمه، فهي على حد تعبير عبد السلام المسدي مفاتيح العلوم، وعليه من الضروري أن نقف عند أهم المفاهيم التي سنتطرق إليها والمتمثلة في مفهوم الأخلاق، علم الأخلاق، العمل، المهنة، أخلاقيات المهنة.

مفهوم الأخلاق: لغة: جمع خلق مأخوذ من الطبع والسجية والعادة؛ وقيل من المروءة والدين، قال **الفيروزآبادي**: «الخُلق بالضمّ وبضمتين: السجية والطبع، والمروءة والدين».

وقال **ابن منظور**: «الخُلق: الخليقة؛ أعني الطبيعة، وفي التنزيل قوله ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم/4] ، والجمع: أخلاق، لا يُكسَّر على غير ذلك».

ويذهب العلامة **الراغب الأصفهاني** في تمييزه بين الخَلق بالفتح والخُلق بالضم إلى أنهما في الأصل واحد «كالشَّرب والشُّرب، والصَّرم والصُّرم، لكن خُصَّ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المُدرَكة بالبصر، وخُصَّ الخُلْق بالقوى والسجايا المُدرَكة بالبصيرة».

أما في التراث الغربي فتعود كلمة ethics /الأخلاق والمشتقة من كلمة ethos إلى العادات والسلوك أو الصفات.

أما **اصطلاحا** فهو حسب تعريف **ابن مسكويه**: «حال النفس داعية إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهو ينقسم إلى ما هو فطري (الغضب) وإلى ما هو مكتسب (الشجاعة، الحلم...)»، ويعرفه أيضا **الغزالي**

فيقول: «الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تَصدُر الأفعال بسهولة ويُسرٍ من غير حاجة إلى فِكْر ورويَّة».

علم الأخلاق: هو جملة القواعد والأسس التي يعرف بواسطتها الإنسان معيار الخير في سلوك ما.

مفهوم العمل: هو كل موقف يبذل فيه الإنسان مجهود (فكري /عقلي) لتحقيق هدف.

مفهوم المهنة: حرفة تشمل مجموع المعارف العقلية والسلوكية المهنية التي يتمتع بها الفرد والتي تجعله يتحلى بقدر من الخبرات والمهارات.

أخلاقيات المهنة: هو مجموع المبادئ والقيم التي تمثل سلوك العاملين في مؤسسة ما، وهو أيضا مجموع المعايير الأخلاقية والسلوكية المهنية التي يتبعها الموظف لتحمل مسؤولياته المهنية حسب الآداب التي تحددها قوانين المؤسسة كاحترام الوقت، احترام العمال...

2. التطور التاريخي للمفهوم:

إذا ما حاولنا تحديد مسار مفهوم الأخلاقيات؛ فيمكن أن نعتبر الحضارة البابلية أول من أرست قواعد أخلاقيات المهنة وكان ذلك مع مدونة حمورابي، وكانت عبارة عن مجموع قوانين حول الأخلاق المهنية تشتمل على قواعد وإرشادات خاصة بالتجار والمهنيين...وأيضا العقوبات المترتبة عن عدم الالتزام بهذه الواجبات.

لتأتي بعد ذلك الحضارة الرومانية والتي عُرفت بالصرامة في الخلق واحترامهم الشديد للقانون خاصة مع الشعوب المستعمرة والخاضعة لهم، وكان لرجال الفكر والسياسة خاصتهم نظرة عالمية متمثلة في تأسيس فكرة الدولة العظمى، وذلك لا يكون إلّا ببناء مجتمع أخلاقي يبدأ من الأسرة فالعمل فالمجتمع وصولا إلى الدولة.

إذا ما تحدثنا عن الشرائع السماوية فإن ما يتبادر إلى أذهاننا هو حال العباد قبل نزول الشرائع وسبل عيشهم المبنية على الفساد والفوضى من ربا وسرقة وغش في المعاملة... وأنّ هذه الشرائع نزلت لمعالجة هذه الحالة.

فاليهود كمثال معروفون في معاملاتهم بصورة المُرابي؛ وذلك لحبهم في جمع الثروة واكتنازها فيتعاملون بالربا وإقراض الأموال بفائدة...

على العكس من ذلك فالعرب عُرفوا في الجاهلية بفطرتهم السليمة وتطبعهم بالكرم والمروءة فجاء الإسلام ليتمّم مكارم الأخلاق عندهم من رحمة وصبر وشجاعة وحماية الضعيف ونصرته...

ونظرة الإسلام للأخلاق غير النظرة الفلسفية لأن الإسلام غايته تحقيق سعادة الآخرة من خلال المنفعة العامة الدنيوية وكانت أخلاقهم مستمدة من القرآن والسنة والاجماع والقياس، وكان النبي صلى الله عليه وسلم نموذج للأخلاق لقول المولى عز وجلّ ﴿ وإنّك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم/4]، والخلق عند المسلمين قائم على الوسطية يربط بين الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿ابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [النور/]، والملاحظ أنّ الحضارة الإسلامية دون غيرها اعتنت بالإنسان في جانبه الأخلاقي أكثر من الجانب المادي والغريزي.

نخلص إلى أنّ موضوع الأخلاقيات في غاية الأهمية ولابد من العناية به حتى تتأصل في الفرد والأسرة والمجتمع والعمل، لأنّ ما لوحظ مؤخرا انحطاط في الأخلاق وهذا ما ساهم في نشأة علم أخلاقيات المهنة.